الموقع الجغرافي والسياق التاريخي للهجرة غير الشرعية إلى ليبيا

أ.عادل إمحمد حسن الهلاك * - جامعة الزنتان / كلية التربية تيجي
adlalhlak728@gmail.com

تاريخ الاستلام 30 / 3 /2025م تاريخ القبول 3 / 7 / 2025م

The Geographical Location and Historical Context of Illegal Migration to Libya

*Adel E. Al-Halak - Assistant Lecturer, University of Zintan, Faculty of Education, Tiji

Abstract:
The phenomenon of illegal immigration is one of the most important current issues that has become a matter of great interest to the international community, and to the countries that are a source of immigrants as well as the countries that receive them. The phenomenon of illegal (secret) immigration has become a global phenomenon, as it is ranked third in terms of its criminal danger after drug and arms trafficking. It has worsened in the post-cold war period due to technological development in the field of communication and means of transportation - fragile border control - ethnic conflicts - mass displacement. These new phenomena have pushed people to seek a better life and settle in foreign countries, and have stimulated various types of migration, specialized criminal organizations and gangs known as illegal immigration networks have emerged.
Libya is considered among the countries that have become aware of this phenomenon in a timely manner, as it has begun to confront it directly and to limit the increase and aggravation of the dangers that have begun to plague libyan youth, due to its large area, and by virtue of its position, especially among the countries of Africa, which made it a three-dimensional region, and the objectives from the perspective of illegal immigrants are: either a transit area to countries overseas, or an area intended for African immigrants, or a transit area from its great south to its coastal north, and it has recently turned into a country of trafficking and a source for them, several networks specializing in illegal immigration have been formed, working to bring a steady flow of African nationals and others to libya, and also working to encourage young libyans to support and encourage them to migrate illegally to Europe.

Keywords: legal immigration, illegal immigration, geographical location, historical context.

الملخـص :

تعد ظاهرة الهجرة غير الشرعية من أهم القضايا الشائكة والراهنة التي أصبحت موضوع اهتمام بالغ للمجتمع الدولي وللدول التي تمثل مصدراً للمهاجرين وكذلك الدول التي تستقبلهم، وظاهرة الهجرة غير الشرعية (السرية) باتت ظاهرة عالمية، إذ تصنف في المرتبة الثالثة تبعاً لخطورتها الإجرامية بعد المتاجرة بالمخدرات والأسلحة، وقد تفاقمت في فترة ما بعد الحرب الباردة بسبب التطور التكنولوجي في ميدان الاتصال ووسائل النقل – المراقبة الهشة للحدود – النزاعات العرقية – النزوح الجماعي، فهذه المظاهر الجديدة دفعت الناس إلى البحث عن حياة أفضل والاستقرار في بلدان أجنبية، وحفزت أنواعاً مختلفة من الهجرة، فظهرت تنظيمات وعصابات إجرامية مختصة تعرف بشبكات الهجرة السرية.

وتعتبر ليبيا من بين الدول التي تفطنت في الوقت المناسب لهذه الظاهرة حيث أصبحت تواجهها بصفة مباشرة وللحد من تزايد وتفاقم من مخاطر أصبحت تنخر الشباب الليبي، لكونها تتربع على مساحة كبيرة، وبحكم مكانتها وخاصةً بين دول أفريقيا، الأمر الذي جعل منها منطقة ثلاثية الأبعاد والأهداف من منظور المهاجرين السريين فهي: إما منطقة عبور إلى دول ما وراء البحر، أو منطقة مقصودة من قبل المهاجرين الأفارقة أو منطقة عبور من جنوبها الكبير إلى شمالها الساحلي، وتحولت مؤخراً إلى بلد اتجار ومنبع لها، فتكونت عدة شبكات مختصة في الهجرة السرية تعمل على جلب سيول متدفقة من الرعايا الأفارقة وآخرين إلى ليبيا، كما تعمل أيضاً على حث شباب ليبيين على دعمهم وتشجيعهم للهجرة غير الشرعية نحو أوروبا.

الكلمات المفتاحية : الهجرة الشرعية، الهجرة غير الشرعية، الموقع الجغرافي، السياق التاريخي.

أولاً- المقدمة :

مما لا شك فيه أن ظاهرة الهجرة غير الشرعية ظاهرة منتشرة في العالم ككل، لها جذور عميقة منذ زمن بعيد، وهي ظاهرة اجتماعية وطبيعية وجدت بوجود الإنسان منذ القدم، حيث سعى من خلالها الأفراد والجماعات إلى الانتقال من مكان إلى آخر بحثاً عن العيش الكريم والاستقرار الأمن، وفي ذلك فقد ظلت ظاهرة الهجرة على امتداد التاريخ الإنساني، تستجيب لتطلعات الأفراد في مناطق مختلفة من العالم، نحو تطوير حياتهم وتغيير ظروفهم لحياة أفضل، ولكن بعد ذلك تطورت الدول وأصبحت توجد حدود تفصل

بينها ووضعت قوانين لانتقال الفرد من دولة إلى أخرى، من خلال فرض التأشيرات ومراقبة الحدود، لذا فإن الهجرة غير الشرعية ظلت نتيجة طبيعية لحالة المنع وغلق الأبواب أمام الهجرات الشرعية باتجاه الدول المتقدمة، فالسياسات التي تتبعها الدول الأوروبية في هذا المجال كان لها آثار عكسية، إذ ساهمت في فتح المجال أمام التهريب عبر الحدود، من خلال أشخاص يتاجرون في البشر من أجل تحقيق مكاسب مادية[1] ، لذلك تعددت مفاهيم الهجرة، هناك الهجرة النظامية أو الهجرة القانونية أو الهجرة الشرعية، والهجرة غير النظامية أو الهجرة السرية أو الهجرة غير القانونية وهذه تندرج تحت مسمى "الهجرة غير الشرعية"، والتي أصبحت مشكلة تؤرق المجتمع الدولي عامةً والمجتمع الليبي خاصةً، حيث زاد عدد المهاجرين غير الشرعيين في السنوات الماضية والوقت الحالي الأمر الذي أدى إلى حدوث مشاكل اجتماعية وأمنية، وحتى على الدول التي يقصدونها، ويلاحظ أن الهجرة تحولت في عصرنا الحالي إلى معضلة، سواء بالنسبة للدول المصدرة أو الدول المستقبلة، وذلك من منطلق تداعياتها وانعكاساتها المختلفة على الطرفين، هذا الأمر جعل الدول الأوروبية أن تضع اتفاقيات بينها وبين ليبيا للتصدي لهذه الظاهرة.

حيث أصبحت ظاهرة الهجرة غير الشرعية مشكلة مؤثرة في المجتمع الليبي من خلال الظواهر السلبية التي انبثقت عن طريقها كعصابات السرقات والنصب والاحتيال، لذلك اتخذت الحكومة الليبية بعض الإجراءات للتصدي لهذه الظاهرة المتمثلة في إنشاء جهاز متخصص لمكافحة الهجرة غير الشرعية عبر القوانين التي وضعت من قبل الدولة الليبية والعقوبات التي ينص عليها.

ثانياً- مشكلة الدراسة :

تُعد ليبيا من الدول المصدرة للمهاجرين بحكم موقعها الجغرافي وترابطها التاريخي مع الدول الأفريقية المجاورة لها، لذلك يعتبر العامل الجغرافي والعامل التاريخي من العوامل التي ساعدت في تطور الهجرة غير الشرعية في ليبيا ، كذلك لها أثار سلبية على المجتمع الليبي، وبناء على ذلك تلخصت مشكلة الدراسة في الإجابة على الأسئلة المطروحة.

ثالثاً- تساؤلات الدراسة:

1- هل ساهم العامل الجغرافي في زيادة تدفق المهاجرين غير الشرعيين إلى ليبيا ؟
2- هل هناك عوامل أدت إلى وجود ظاهرة الهجرة غير الشرعية في ليبيا ؟
3- هل لعب الدور التاريخي في تنامي ظاهرة الهجرة غير الشرعية إلى ليبيا ؟

رابعاً- أهداف الدراسة :

1- الموقع الجغرافي كعامل مؤثر للهجرة غير الشرعية .

2- توضيح الدور التاريخي وأهميته للهجرة غير الشرعية .

3- الوصول إلى النتائج المطلوبة .

خامساً- أهمية الدراسة :

تتمثل أهمية البحث في دراسة هذه الظاهرة لما لها من تداعيات على الأمن القومي الليبي والتي أصبحت تشكل نقطة مهمة وجديرة بالدراسة مما يتطلب تقديم الحلول الناجحة، لمعرفة مدى تأثير الجانب الجغرافي والتاريخي على الهجرة غير الشرعية على ليبيا.

سادساً- منهجية الدراسة :

عند دراسة هذا البحث فقد استندتُ على المنهج الوصفي التحليلي في وصف وتحليل مشكلة الدراسة، بهدف الإجابة على التساؤلات المطروحة، بالإضافة إلى توضيح دور العامل الجغرافي والتاريخي في زيادة وتنامي ظاهرة الهجرة غير الشرعية في ليبيا، وتمثلت الأدوات المستخدمة في البحث في الكتب والرسائل والمجلات العلمية.

سابعاً- حدود الدراسة :

تحددت حدود هذا البحث ضمن الأطر الآتية :

1- الحدود المكانية: تناول موضوع الهجرة غير الشرعية في ليبيا ومدى مساهمة الموقع الجغرافي والعامل التاريخي في تطور هذه المشكلة.

2- الحدود الزمانية: تغطي الدراسة الفترة الزمنية الممتدة من 2011 إلى 2024، وذلك لتحليل وتوضيح الأسباب التي أدت إلى زيادة تفاقم ظاهرة الهجرة غير الشرعية في ليبيا.

الإطار النظري للدراسة :

المبحث الأول : (مفاهيم أساسية عن الهجرة غير الشرعية إلى ليبيا) :

لابد أن نتطرق لبعض المفاهيم في هذا البحث حتى تتضح لنا أهمية وأهداف هذه الدراسة.

1- الهجرة الشرعية :

يقصد بها تلك الهجرة التي تستوفي جميع الشروط القانونية، وتحدث الهجرة الشرعية في الدول التي تسمح نظمها القانونية باستقبال الأجانب، وتتم عن طريق الدخول من الأماكن المحددة سواء كانت عن طريق البر أو البحر أو الجو لإقليم الدولة، وتشترط الدول لدخول أراضيها أو الخروج منها ، تقديم جواز سفر، ساري المفعول وصادر عن

السلطات المختصة أو وثيقة سفر تقوم مقام الجواز مع احترام مبدأ المعاملة بالمثل بخصوص التأشيرات.

-الهجرة لغةً : في لسان العرب إن الهجرة ضد الوصل، والهجرة هي خروج من أرض إلى أرض أخرى، وأصل المهاجرة عند العرب خروج البدوي من باديته إلى المدن، إلا أن المعنى يتسع لأن يكون أرض المغادرة أو الوصول، معنوية أو طبيعية فيقال "هجرت الشيء هجراً إذا تركته وأغفلته".

-الهجرة اصطلاحاً : هي مغادرة الشخص إقليم دولته أو الدولة المقيم فيها إلى إقليم دولة أخرى بنية الإقامة في هذه الدولة الأخيرة بصفة دائمة [2].

2- الهجرة غير الشرعية :

الهجرة غير الشرعية في معناها العام هي التسلل عبر الحدود البرية والبحرية ، والإقامة بدولة أخرى بطريقة غير مشروعة، وقد تكون الهجرة أساسها قانونية وتتحول فيما بعد إلى غير شرعية، وهو ما يعرف بالإقامة غير الشرعية .

وتتضمن الهجرة غير الشرعية في مضمونها الهجرة السرية، وتعني الاجتياز غير القانوني للحدود، دخولاً أو خروجاً من التراب الوطني للدولة.

وكذلك يقصد بالهجرة غير الشرعية هو الهروب والمرور بأية وسيلة غير شرعية وغير قانونية، للخروج من البلاد وذلك لوضع حل للمتابعات القضائية أو الإدارية أو كحل وحيد للتخلص من المشاكل التي يتخبطون فيها، كما تعني أيضاً المعيشة في الخارج دون وثائق قانونية.

هناك نوعان من الهجرة غير الشرعية، لدينا الهجرة السرية إلى داخل البلاد والثانية إلى خارج البلاد.

-الهجرة غير الشرعية داخل البلاد : يطلق هذا النوع على المهاجرين الوافدين إلى الدولة المستقبلة للهجرة سواء بغية الإقامة الدائمة فيها باتخاذها كمركز عبور للذهاب إلى جهة أخرى، وبالأخص الأفارقة الزاحفين نحو ليبيا واستقرارهم بها، حيث أن هناك فيهم من يتخذها بوابة عبور إلى أوروبا، وما يلاحظ على هؤلاء أنه غالباً ما تكون وثائق سفرهم، تأشيراته وأختام الدخول والخروج مزورة.

-الهجرة غير الشرعية إلى خارج البلاد : يطلق هذا النوع على المهاجرين السريين الذين يتركون بلدانهم باتجاه دول أخرى تتوفر على فرص أرحب للعيش ويدخل في هذه الطائفة المواطنون الليبيون، الأفارقة، العرب، والمسلمون، حيث أن البعض ليس وجهته أوروبا، بل عن طريقها يأخذ وجهة أخرى أكثر رخاء مثل انجلترا، كندا و الولايات المتحدة الأمريكية.

وعلى العموم فيما يتعلق بالهجرة غير الشرعية فهناك دول مصدرة تتمثل في أفريقيا ودول العالم الثالث، حيث توجد دول عبور مثل ليبيا ودول المغرب العربي[3].

3- موقع ليبيا الجغرافي :

تتوسط ليبيا شمال قارة أفريقيا، حيث تشغل مساحة عظيمة الاتساع تبلغ حوالي 1.775.500 كيلو متر مربع، فهي تمتد من البحر المتوسط في الشمال حتى حدود جمهورية السودان وجمهورية تشاد وجمهورية النيجر في الجنوب بمسافة حوالي 2000 كيلو متر، ومن حدود جمهورية مصر من الشرق حتى حدود جمهورية تونس والجزائر في الغرب بمسافة حوالي 1900 كيلو متر، ومن خلال هذا التحديد نجد أن ليبيا فلكياً تنحصر بين خطي طول 9° و 25° شرقاً، وتقع بين دائرتي عرض 33° و 45¯.18° شمالاً[4].

حيث أن ليبيا تعتبر رابع دولة من حيث المساحة في القارة الأفريقية، فضلاً على أنها تتمتع بمركز استراتيجي هام، فطرابلس وبنغازي هما أقرب المواني التي تعمل طول العام إلى مالي والنيجر وتشاد في تجارتهم مع أوروبا، بذلك تمثل حلقة اتصال بين أفريقيا وأوروبا وهي طريق تجاري طبيعي بين هاتين القارتين[5].

4- السياق التاريخي :

يقصد بالسياق التاريخي سرد لأحداث البشر في الزمن الماضي أي توالي للأحداث وتأثيرها على المجتمع في زمن مضى أو هو مجموعة من الأحداث التي وقعت في زمن معين، ومعرفة أوقاتها وبيان أسبابها، فيعرف منه سبب ارتقاء الإنسان وتخلفه على مر السنين[6].

حيث يساهم السياق التاريخي في توضيح العلاقات بين الأحداث ويفسر كيف أثرت العوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية في صنع القرارات أو التحولات التاريخية.

كذلك يشير السياق التاريخي إلى البيئة الزمنية والمكانية التي وقعت فيها الأحداث، ويعتبر السياق عنصراً مهماً وأساسياً لفهم التاريخ لأنه يساعد في الربط بين الحدث والعوامل التي أدت إلى وقوعه أو تأثيره على المدى الطويل[7].

المبحث الثاني : موقع ليبيا

أولاً - موقع ليبيا الجغرافي قديماً وحديثاً وعلاقته بالهجرة غير الشرعية :

نلاحظ من خلال النظر إلى خريطة ليبيا أن الحدود التي تفصل بينها وبين كل الدول المجاورة ليست حدوداً طبيعية وإنما حدود سياسية باستثناء شمال ليبيا حيث البحر التوسط، إذ إنها لا توجد ظاهرة طبيعية بارزة يمكن أن تفصل فصلاً واضحاً بين ليبيا

وجيرانها، وهذا لأن الصحراء الكبرى تمتد بدون انقطاع في كل أقطار شمال أفريقيا بشكل يجعل هذه الأقطار تتداخل مع بعضها البعض.

كذلك أن موقع البلاد بجبهة ساحلية طويلة على البحر المتوسط والذي يعتبر مركز الحضارات القديمة قد أعطاها الفرصة لكي تتصل بدول هذا الحوض منذ ألاف السنين، فقد كانت هي حلقة الوصل بين تجارة أوروبا ومدن وسط القارة الأفريقية في عهد طرق القوافل إذ كانت هناك خطوط قوافل قديمة بين دول جنوب أوروبا والمدن التي أنشئت على الأطراف الشمالية جنوب الصحراء، وقد كانت المدن الليبية على الساحل بمثابة الموانى التجارية، لذلك بعض الواحات اعتبرت محطات رئيسية للتزود بالمؤن واحتياجات السفر[8].

أي أن ليبيا منذ القدم تعتبر بلد عبور تاريخي للتجار عبر طرق القوافل للتبادل التجاري بين الشعوب القديمة وبذلك أُسست بها مراكز تجارية في الجنوب وفي الشمال، ثم أصبحت بعد ذلك بلد عبور للمهاجرين الشرعيين وغير الشرعيين من الدول الإفريقية إلى الدول الأوروبية عبر البحر المتوسط، هذا بحكم موقعها الجغرافي القريب من أوروبا الذي لعب دوراً خطيراً في تاريخها السياسي وتطورها البشري، فهي تمتد لمسافة حوالي 1900 كم على السواحل الجنوبية لحوض البحر المتوسط، ولا يفصلها عن سواحل أوروبا إلا هذا البحر، الذي لم يكن في أي وقت من الأوقات عقبة يصعب اجتيازها، وإن موقعها هذا هو الذي جعلها شديدة الحساسية لكل ما يحدث على شواطئ هذا البحر من أحداث وتطورات، أيضاً في العصور الوسطى نجد أن الموقع الجغرافي للأراضي الليبية جعلها تتأثر تأثيراً بالغاً بكل ما يدور حول حوض البحر المتوسط من أحداث، وأن الفتوحات الإسلامية كانت هي أهم الأحداث التاريخية التي ظهرت في تلك الفترة، بذلك أصبحت ليبيا في ذلك الوقت بمثابة الجسر للفتوحات الإسلامية الذي يصل بين بلاد العرب في أسيا والبلاد التي فتحوها في المغرب، وهذا ينطبق تماماً على التاريخ الحديث والمعاصر حيث نرى أن ليبيا لم تكن في أي وقت من الأوقات بعيدة عن التطورات الهامة التي حدثت وتحدث في أي دولة من الدول المشرفة على حوض البحر المتوسط[9].

ولهذا إن أهمية موقع ليبيا الجغرافي تمتد جذورها في أعماق التاريخ إذ كانت التجارة بين أفريقيا والمشرق العربي وأوروبا تمر عبر ليبيا أي تربط ثلاث قارات، لذلك تمثل ليبيا البوابة الشمالية لأفريقيا بسبب موقعها الإستراتيجي[10].

وعلى الرغم من إن دول أفريقيا قد شهدت أنماط ونماذج متعددة من التنمية الاجتماعية والاقتصادية إلا أنها لم تكن ناجحة وفعالة في أحداث التنمية المرغوبة للمواطن

الأفريقي، مما أدى ذلك إلى ترك موطنه والهجرة بشكل مشروع وغير مشروع لمكان آخر يجد فيه فرص العمل ولقمة العيش.

وليبيا بحكم موقعها تعتبر عامل جذب للهجرة غير الشرعية، حيث إن الحدود الليبية الواسعة الصحراوية والبحرية التي تبلغ أكثر من ستة ألاف كيلومتر تعتبر عامل مساعد للهجرة لصعوبة مراقبتها وهذا يعزز فكرة الهجرة لدى المواطنين، حيث أن المهاجر من جنوب الصحراء قد يستقر في ليبيا ويعمل لجمع المال حتى يستطيع بعد ذلك الرحيل والهجرة إلى أوروبا[11].

لذلك تعد ليبيا البوابة والمدخل الرئيسي لأفريقيا على أوروبا حسب طبيعة موقعها الجغرافي، حيث أن لها حدود مع عدد من الدول الأفريقية وهذه الحدود شاسعة يصعب السيطرة عليها، بالإضافة إلى الصحراء الواسعة والكثبان الرملية الممتدة لمسافات كبيرة جداً، وعامل القرب من البحر المتوسط ساهم في تسهيل وصول المهاجرين من الدول الأفريقية إلى الدول الأوروبية، ذلك أن السواحل الليبية لا تبعد أكثر من 300 كلم عن جزيرة لامبيدوزا الإيطالية التي تشهد كل عام وصول آلاف المهاجرين غير الشرعيين إليها، وعند وصول المهاجرين الغير شرعيين إلى ليبيا قد تتوفر لهم فرص عمل في القطاع العام أو الخاص، لهذا تعتبر ليبيا بلد عمل وعبور، فالملاحظ أن الأجانب يتمتعون بمعاملة شبه متساوية في الحقوق مع المواطنين الليبيين من حيث الأسعار في الحصول على العمل أو العلاج أو التعليم، وبحسب طبيعة الشعب الليبي يحظى الأفارقة بمعاملة حسنة مبنية على أسس دينية وإنسانية[12].

ثانياً ـ عوامل الهجرة غير الشرعية:

مما لا شك فيه إن هناك عدة عوامل أو أسباب لحدوث ظاهرة الهجرة غير الشرعية التي أثرت في ليبيا خاصةً والعالم عامةً، وتعتبر الأسباب الأساسية التي تدفع بالفرد للهجرة من بلده بصورة قانونية أو غير قانونية من بينها الأسباب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وكان تأثيرها بشكل كبير على شريحة الشباب للهجرة من الدول الأفريقية إلى الدول الأوروبية، حيث تعتبر الهجرة بالنسبة لهم الحل الوحيد أمامهم حتى يحصلوا على فرصة عمل في أي دولة من دول العالم، ويمكن توضيحها تباعاً كالآتي :

1- عوامل اقتصادية: نتيجة التباين في المستوى الاقتصادي بين دول العالم الثالث ودول أوروبا أو ما يسمى بمفهوم الدول الطاردة والدول المستقبلة، وكان هذا التباين بسبب تذبذب وتيرة التنمية في بلدان العالم الثالث التي لازالت تعتمد أساساً في اقتصادها على الفلاحة والتعدين وهما قطاعان لا يضمنان استقرار في التنمية نظراً لارتباط الأول بالأمطار والثاني بأحوال السوق الدولية وهو ما له انعكاسات سلبية على مستوى سوق

العمل، حيث إن دول أوروبا تعتبر دول صناعية، لذلك يشكل هذا التباين فارقاً كبيراً وذات دخل مرتفع واقتصاد قوي، أيضاً عاملاً للتحفيز[13]. كذلك بسبب الفقر ونقص الاحتياجات الأساسية، والرغبة في تحسين مستوى المعيشة، وارتفاع مستوى البطالة أو بالأصح انعدام الوظائف، أو العمل في ظروف غير مستقرة (القطاع غير الرسمي) وعدم الرضاء عن فرص العمل المحلية المتاحة[14].

حيث يشير تقرير صادر عن الأمم المتحدة أن من أسباب الهجرة غير الشرعية نتيجة إلى ازدياد نسبة الشباب في الدول النامية، وتناقص فرص العمل وانخفاض قيمة الأجور، في المقابل ارتفاع مستوى المعيشة، وحاجة الدول الصناعية المتقدمة إلى الأيدي العاملة، هذا ما دفع الشباب من الدول الأفريقية إلى الهجرة بأي شكل من الأشكال إلى هذه الدول المستقبلة للمهاجرين[15].

2- عوامل اجتماعية : لعبت العوامل الاجتماعية دوراً بارزاً ورئيسياً في ظاهرة الهجرة غير الشرعية فالظروف المعيشية الصعبة والفقر في الدول الأفريقية سببت في هجرة أعداد كبيرة من السكان وذلك لتحسين ظروف العمل وإمكانية العيش مع الأصدقاء والأقارب في منطقة المهجر، وكذلك الرغبة في تحقيق شهرة معينة تلاءم قدراتهم الخاصة، وأيضاً الرغبة في الجواز من دولة أخرى غير دولته هذا من ناحية، والحصول على جنسية من الدولة التي يتزوج منها من ناحية أخرى[16].

حيث أن الدول التي تشهد زيادة سكانية كبيرة يكون بها عجز في توفير فرص العمل، والحصول على السكن والخدمات، وكذلك تشهد دول أخرى انخفاضاً في عدد السكان وخاصةً بفئة الشباب فتصبح مناطق جذب للمهاجرين، وهذا يظهر بوضوح بالنسبة لدول شرق وجنوب البحر المتوسط، وإن البطالة تعتبر أحد الأسباب الرئيسية للهجرة طلباً للعمل، وتعتبر الدول الأفريقية من أكثر دول العالم ارتفاعاً في معدلات البطالة، في المقابل ينخفض معدل البطالة في دول شمال المتوسط وهذا يؤدي إلى زيادة درجة النمو الاقتصادي في هذه الدول وتوفر فرص العمل، كذلك صور النجاح الاجتماعي التي تبدو على المهاجر عند عودته إلى بلده وهو يحاول إظهار علامات الغنى والتحسن الذي وصل إليه والرفاهية التي يعيش بها، هذا كان دافعاً لتشجيع الشباب على الهجرة بأي وسيلة كانت من أجل تحسين معيشتهم والحصول على مكان مناسب للعيش والإقامة[17].

3- **عوامل سياسية:** كذلك من العوامل السياسية التي كانت وراء ظاهرة الهجرة غير الشرعية هو النزاعات القبلية والصراعات الداخلية كذلك نتيجة الحروب التي تحدث من خلال تغير الحكم أو النظام مثل ما حدث في دولة السودان التي انقسمت إلى جزئيين السودان وجنوب السودان، نتيجة ذلك يحدث اختلال الأمن وتنتشر الفوضى ويشعر

السكان بانعدام الأمن والأمان، لذلك يلجون أو بالأصح يفرون ألاف الأشخاص من بلدانهم إلى الدول المجاورة بحثاً عن الأمن والحماية والاستقرار، حتى ولو دفعهم ذلك لإتباع طرق غير مشروعة، واستخدام وسائل غير آمنة للوصول وتعرضهم للجريمة والابتزاز من قبل المهربين، كما أن تفشى الفساد والمحسوبية وغياب الديمقراطية وقمع الحريات وانتهاك حقوق الإنسان كلها عوامل تؤدي بالأشخاص إلى الهجرة نحو ملاذ آمن.

حيث تعد الحرية من أهم متطلبات الإنسان ولو في ظل الفقر، فقد كان سبب بعض تحركات المواطنين هي البحث عن الحرية السياسية، وذلك للهروب من الاضطهاد الذي يواجهونه من أنظمتهم وخاصةً الأقليات العرقية، هذه الأسباب التي أدت إلى الهجرة غير الشرعية[18].

ثالثاً- الدور التاريخي في تنامي ظاهرة الهجرة غير الشرعية في ليبيا :

هناك علاقة قديمة تربط بين القبائل الليبية والقبائل الأفريقية في تشاد والنيجر والسودان منذ زمن طويل، حيث كان للدين الإسلامي دور كبير في ذلك الترابط، فضلاً عن وجود امتداد لبعض القبائل العربية في الدول سالفة الذكر، كذلك التداخل العرقي على الحدود حيث تنتشر جماعات التبو والطوارق في المناطق الحدودية بين ليبيا ودول الجوار الأفريقي.

والمتتبع للعلاقات الليبية بدول الجوار الأفريقي، نجد أنها مرت بعدة مراحل تاريخية تتأرجح بين التفاهم والصداقة وحسن الجوار والانسجام، وبين التوتر وعدم الاستقرار والعداء بل وحتى الحروب، إلا أن علاقات ليبيا مع هذه الدول قد تطورت بشكل كبير في العقد الأخير من القرن الماضي[19].

وإن تاريخ علاقة سكان جنوب ليبيا بالدول الأفريقية علاقة قديمة قدم البشرية، تعود إلى عصور ما قبل التاريخ، التي تتمثل في الترابط التاريخي والتداخل العرقي بين هذه القبائل، وقد تطورت العلاقات مع مرور الوقت، من خلال التجارة والهجرات والتحالفات والصراعات والتعاون التي ساهمت في تفاقم ظاهرة الهجرة غير الشرعية في ليبيا، وخاصة الفترة الممتدة بين عامي 2011 – 2024م، كذلك بسبب العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية سالفة الذكر.

حيث توجد روابط اجتماعية واقتصادية وثقافية وسياسية معقدة ومتداخلة بين جنوب ليبيا وتشاد والنيجر والسودان، هذه الروابط تعود إلى تاريخ طويل من التفاعلات بين هذه المناطق والتداخل القبلي المتمثل في قبائل الطوارق والتبو وتشترك في امتداد جغرافي

واسع يمتد عبر حدود هذه الدول، مما يجعلها ذات تأثير كبير على العلاقات السياسية والاجتماعية في هذه البلدان.

وقد ساهمت حالة عدم الاستقرار السياسي والأمني في ليبيا بين الفترة سابقة الذكر، في انتشار ظاهرة الهجرة غير الشرعية، وتورط جماعات مختلفة فيها من بينها الطوارق والتبو.

أولاً- الطوارق: هو شعب أمازيغي يستوطن الصحراء الكبرى في جنوب الجزائر، وشمال مالي، وشمال النيجر، وجنوب غرب ليبيا، وشمال بوركينا فاسو، وقبائل الطوارق مسلمون سنة مالكيون، ويتحدثون اللغة الطارقية بلهجاتها الثلاث :تماجق، وتماشق، وتماهق، ولغتهم تسمى (تيفيناغ)، عرقياً يمكن وصف الطوارق بأنهم من العرق الأبيض مع ميل إلى السمرة، عاش الطوارق حياة بداوة عريقة في الصحراء الكبرى منذ آلاف السنين ولا يزال بعضهم إلى اليوم متمسكاً بنمط العيش هذا بسبب التهميش الذي عانوه من الدول التي تقاسمت أراضيهم، عرف الطوارق بتسميات عديدة في مراحل تاريخية متلاحقة، ففي عصور ما قبل التاريخ عرفوا بالجرمنتيين، وفي أوائل العصر الإسلامي عرفوا بالملثمين، ثم المرابطين، وأخيراً في العصر الحديث عرفوا بالطوارق[20]، ويشكل الطوارق مجتمعا كبيراً على امتداد الصحراء الأفريقية الكبرى، لكنهم تعرضوا للشتات والتقسيم على مر العصور، بفعل الموجات الاستعمارية التي ضربت المنطقة، خاصةً موجة الاستعمار الفرنسي، التي وضعت حدوداً جغرافية قسمت المنطقة ولم تراع حقوقها التاريخية، وفي غياب إحصاءات دقيقة وموثقة لا يمكن إعطاء رقم صحيح عن عدد الطوارق في منطقة الساحل الأفريقي أو في دول شمال أفريقيا، وتختلف التقديرات حول العدد الإجمالي لشعب الطوارق في منطقة الصحراء الكبرى، ثمة تقديرات غير رسمية تذهب إلى أن عددهم الإجمالي يناهز 3.5 ملايين نسمة[21]، وأيضاً أخرى تُقدر عددهم حوالي 4 ملايين نسمة وإن غالبيتهم (نحو85%) يقطنون في كل من مالي والنيجر، والبقية يتوزعون بين الجزائر وليبيا وبوركينا فاسو.

ويقطن طوارق ليبيا بمنطقة فزان، وطوارق الجزائر بمنطقة الهقار، أما طوارق مالي فيعيشون بمنطقتي أزواد وأدغاغ، في حين يسكن طوارق النيجر منطقة أيّير وطاوا وتيلابيري وزندر، حيث تعد هذه المناطق الأربع المذكورة، الأكثر جفافاً والأقل كثافة سكانية بالمقارنة مع المناطق الأخرى لهذه الدول، لكن الطوارق خبروا منذ زمن بعيد هذه المناطق بتضاريسها الصحراوية وطبيعتها القاسية، وظلوا على مر التاريخ يؤمّنون

حركة القوافل التجارية التي تعبرها، وتعتبر الصحراء الكبرى الموطن التاريخي للطوارق، لذلك خبروُا مسالكها ودروبها.

وساعدت شجاعتهم الكبيرة التي عُرفوا بها تاريخياً في إدارة طرق القوافل، إذ يُعَدون شعباً مقاتلاً يجيد التسلح بالسكاكين والسيوف والخناجر والرماح، خاصة في أثناء رحلاتهم التجارية، إضافة إلى قوة صبرهم على مناخ الصحراء الصعب، فضلاً عن معرفتهم بموارد الماء وإتقانهم عملية الاهتداء بالنجوم ليلاً[22].

لذلك يلعب الطوارق دوراً رئيسياً في توجيه المهاجرين عبر الصحراء، مستغلين معرفتهم الجيدة بالمنطقة ومسالكها الوعرة، حيث يتعاون الطوارق مع شبكات تهريب منظمة، وفرض رسوم مادية على المهاجرين لضمان وصولهم إلى وجهاتهم في ليبيا، ويعود سبب تورط الطوارق في عمليات التهريب إلى التهميش والفقر والبطالة، مما دفعهم ذلك إلى الانخراط في أنشطة التهريب كسبيل للرزق.

ثانياً- التبو: هم مجموعة من قبائل وعشائر ينتشرون في مناطق واسعة من الصحراء الكبرى، في جنوب ليبيا وشمال تشاد وشمال شرق النيجر وشمال غرب السودان، ويعيش شعب التبو إما كرعاة وبدو أو كمزارعين بالقرب من الواحات.

حيث تُقدر مجموعة التبو من نحو 50 عشيرة بدوية ذات هوية زنجية عربية مختلطة، تسكن الصحراء الكبرى خاصة منطقة جبال تيبستي في شمال تشاد، ولهم امتدادات إلى الشمال بمنطقة فزان الليبية وجنوباً إلى صحراء تينيري بالنيجر وصولاً إلى تخوم إفريقيا الوسطى، وشرقاً إلى السودان، بل إن تجمعات منهم ظلت تعيش في غرب مصر حتى عشرينيات القرن العشرين.

وبشكل عام يُمكن حصر مواطن التبو في مساحة تُقدر بمليون وربع مليون كيلومتر مربع توجد كلها في منطقة الصحراء الكبرى، مع الإشارة إلى أن كثافتهم في هذا الفضاء الفسيح ضعيفة جداً، فالإحصاءات المتوفرة تُقدرهم بحوالي 850 ألف نسمة[23].

وتتألف قبائل التبو من قبيلتين أساسيتين هما التيدا والدازا، ولكل منهما لغة خاصة مع تجانس كبير بين اللغتين في مخارج الحروف والمعاني، وتتركز قبائل "التيدا"، في شمال الصحراء الكبرى (الجنوب الليبي وجبال تيبستي وواحات شمال شرق النيجر وحوض أيِير)، فيما تتركز قبائل "الدازا" في جنوب الصحراء الكبرى على الحدود مع إفريقيا الوسطى (إينيدي وبُركو وبَطحة وكانُم ومانقا وأيِير).

وتتشابه اللهجتان أي "تداكا" نسبة إلى قبائل التيدا و"دازاكا" نسبة إلى قبائل "الدازا" إلى حد كبير، وتشتركان في ميزات لسانية وصوتية كثيرة، كما يبدو فيهما التأثر بالروافد اللغوية والثقافية الزنجية والعربية والأمازيغية السائدة في المنطقة[24].

لعدم توافر الوظائف في جنوب غرب ليبيا والتهميش الذي طال سكان الجنوب بصفة عامة، أصبح الكثير من التبو مهربين لمهاجري غرب أفريقيا المتجهين إلى أوروبا.
حيث تستغل عصابات التهريب شبكات العلاقات الاجتماعية والمحلية للطوارق والتبو لتسهيل حركة المهاجرين، سواء عبر تقديم الدعم اللوجستي أو توفير الحماية أو حتى المشاركة المباشرة في التهريب.
تحدثت دراسة أعدها معهد الدراسات الأمنية في أفريقيا عن أزمة الهجرة غير الشرعية في ليبيا مع انتعاش عمليات تهريب المهاجرين من دول المنبع الأفريقية إلى الجنوب الليبي، وهي أنشطة أصبحت «الأساس الاقتصادي» لمجتمعات بأكملها سواء في ليبيا أو في منطقة الساحل الأفريقية.
ونادت الدراسة بضرورة زيادة برامج التنمية الاقتصادية في منطقة جنوب ليبيا، ونقلت عن أحد المسئولين في جهاز مكافحة الهجرة غير الشرعية أن "أنشطة التهريب معقدة، وتتضمن أطرافاً عدة، لكن وجود برامج تنموية مكثفة في المنطقة من شأنه حل الأزمة، فالمواطنون في جنوب ليبيا يريدون تنمية وتعليم وبنية تحتية، والتنمية بإمكانها تغيير عقليات وتفكير البشر"[25].

الخاتمة :

أتضح من خلال هذه الدراسة، إن الأسباب الأساسية التي كانت وراء تفاقم ظاهرة الهجرة غير الشرعية عبر الفترة الممتدة من 2011 حتى 2024، إلا وهي الظروف أو العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، أيضاً لعب العامل الجغرافي والترابط القبلي دور رئيسي في زيادة تعقيد هذه المشكلة، كذلك نتيجة لعدة أسباب أخرى من بينها التؤثرات الأمنية والانقسام السياسي في ليبيا، ومن هذه الدراسة تم التوصل إلى بعض النتائج وهي كالآتي :

1- تُعد ليبيا منذ القدم بلد عبور للمهاجرين إلى أوروبا عبر البحر المتوسط، حيث أصبحت نقطة انطلاق رئيسية للهجرة غير الشرعية إلى أوروبا، مع وجود أعداد كبيرة من المهاجرين الذين يعبرون البلاد في طريقهم إلى وجهات أخرى، وحالياً أصبحت الملاذ والمستقر لبعض المهاجرين غير الشرعيين.

2- ظاهرة الهجرة غير الشرعية أثرت على الشاب الليبي وقللت فرصة العمل لديه، من خلال تدفق المهاجرين غير الشرعيين شكل ضغطاً على الخدمات العامة والخاصة مثل الصحة والتعليم والإسكان والتجارة.

3- أدى تزايد الهجرة غير الشرعية إلى تفاقم ظاهرة الاتجار بالبشر، بذلك تكونت

منظمات من العصابات في ليبيا لتهريب المهاجرين، والزج بهم في البحر عبر قوارب غير أمنة للوصول إلى الهدف المرغوب فيه، كذلك يتعرض المهاجرون للخطف والابتزاز والتعذيب وحتى القتل.

4- نتيجة استقرار المهاجرين غير الشرعيين في ليبيا تكونت عصابات إجرامية تقوم بالسرقة والقتل وتجارة المخدرات، هدفها جمع المال لتحقيق أهداف أخرى مثل الوصول إلى أوروبا.

5- البطالة والفقر في البلدان الأصلية يدفعان الأفراد للبحث عن فرص عمل في الخارج لتحسين مستوى معيشتهم.

6- إن موقع ليبيا الجغرافي الذي يتوسط شمال أفريقيا ويتوسط جنوب البحر المتوسط وامتداد الحدود الجنوبية الليبية البرية بحوالي 2000 كم، كان له أهمية ودور كبير في زيادة تدفق المهاجرين غير الشرعيين .

7- الترابط القبلي بين مدن جنوب ليبيا ومدن الدول المجاورة المتمثلة في تشاد والنيجر والسودان هو واقع معقد ومتشابك يؤثر على الحياة الاجتماعية والسياسية في المنطقة ، هذا الترابط لعب دور كبير في ظاهرة الهجرة غير الشرعية.

التوصيات :

للحد من ظاهرة الهجرة غير الشرعية لابد من إيجاد الحلول المناسبة للتصدي لهذه الظاهرة التي أصبحت مشكلة تؤرق الدولة الليبية ومؤثرة في المجتمع الليبي، لذلك من خلال هذه الدراسة علينا اقتراح بعض الحلول التي نأمل أن تؤخذ بعين الاعتبار والنظر فيها وهي كالتالي :

1- لابد على أوروبا تعزيز التنمية المستدامة في الدول الأفريقية المصدرة للمهاجرين بدلاً من المساعدات التي تقدمها لليبيا المتمثلة في الدعم المالي أو الأمني.

2- تحديث وتطبيق القوانين الليبية بكل مصداقية من الجهات الأمنية ضد المهاجرين الغير شرعيين وعلى عصابات المهربين وتجار البشر، أي الضرب بيد من حديد.

3- تجديد الاتفاقيات الأمنية والقضائية لتبادل المعلومات بين ليبيا والدول المجاورة ودول جنوب أوروبا من أجل مكافحة الهجرة غير الشرعية.

4- دعم وتعزيز مراكز ونقاط وأجهزة مكافحة الهجرة غير الشرعية، وخاصةً التمركزات الحدودية بالتموين والسلاح والعتاد والسيارات الحديثة، وكذلك تحفيزهم بالمكافئات المادية.

5- يجب على ليبيا والبلدان المصدرة للمهاجرين العمل على تحسين الظروف

الاقتصادية في هذه البلدان، وتوفير فرص عمل للشباب لمنعهم من الهجرة وتشجيعهم على البقاء في وطنهم.

6- يجب توعية المهاجرين بمخاطر الهجرة غير الشرعية والبدائل المتاحة، مثل الهجرة القانونية والعمل في بلدانهم.

7- يجب العمل على تحقيق التنمية المستدامة في الجنوب الليبي لتوفير فرص عمل وتحسين الأوضاع المعيشية للسكان، مما يقلل من جاذبية الهجرة غير الشرعية.

المراجـــــــــــع :

1- الشجلاوي، باسم سامي محمود، باحث دكتوراه – علوم سياسية، الهجرة غير الشرعية من دولة أفريقيا إلى أوروبا، مجلة الدراسات الأفريقية وحوض النيل، العدد الخامس - بيروت، 2019م ، ص1.

2- إعداد مجموعة من الباحثين ، الهجرة غير الشرعية في منطقة البحر الأبيض المتوسط، (المخاطر الإستراتيجية المواجهة)، دار الروافد الثقافية، بيروت، تحرير د.محمد غربي- أ.سفيان فوكه، الطبعة الأولى 2014م، ص20.

3- مرجع سابق، إعداد مجموعة من الباحثين، الهجرة غير الشرعية في منطقة البحر الأبيض المتوسط، ص23،ص24.

4- طريح شرف، عبدالعزيز، جغرافية ليبيا، منشأة المعارف بالإسكندرية، الطبعة الثانية، 1971م، ص9.

5- حبيب، هنري ، ترجمة – د.شاكر إبراهيم، ليبيا بين الماضي والحاضر، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، الطبعة الأولى، 1981م، ص16.

6- يزيك، قاسم، التاريخ ومنهج البحث التاريخي، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، 1990م، ص2.

7- العروي، عبدالله، المفاهيم والأسس – السياق التاريخي وأهميته.

8- المهدوي، محمد المبروك، جغرافية ليبيا البشرية، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، بنغازي، ص4.

9- مرجع سابق، طريح شرف، عبدالعزيز، جغرافية ليبيا، الطبعة الثانية، 1971م، ص11.

10- مرجع سابق، حبيب، هنري ، ليبيا بين الماضي والحاضر، ، ص297.

11- المفترس، على عبدالله محمد ، الهجرة غير الشرعية وأثارها الاجتماعية والاقتصادية على المجتمع الليبي، مجلة علوم التربية، الجمعية الليبية للمناهج واستراتيجيات التدريس، العدد الثالث، 2019م، ص89-90.

12- نور، عثمان حسن محمد – المبارك، ياسر عوض عبدالكريم، الهجرة غير المشروعة والجريمة، جامعة نايف الأمنة – الرياض، السعودية، 2008م، ص47.

13- أبوزيد، محمد إمحمد محمد ، الهجرة غير الشرعية وأثرها على الأمن القومي الليبي (2011- 2017)، رسالة ماجستير في العلوم السياسية، كلية الآداب والعلوم – جامعة الشرق الأوسط ،2019م، ص27.

14- مجلة الوزراء، الحد من ظاهرة الهجرة غير النظامية، نحو تعزيز فرص العمل اللائق

في مصر، مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار، العدد الثالث - القاهرة، ص19.
15- بركان، فايزة ، آليات التصدي للهجرة غير الشرعية، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنه – الجزائر، 2011-2012م.
16- مرجع سابق، المفترس، على عبدالله محمد ، الهجرة غير الشرعية وأثارها الاجتماعية والاقتصادية على المجتمع الليبي، ص91-92.
17- بوعزيز، آسية، السياسة الجنائية في مكافحة الهجرة غير الشرعية، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة باتنه – الجزائر، 2017-2018م.
18- مرجع سابق، إعداد- محمد إمحمد محمد أبوزيد، الهجرة غير الشرعية وأثرها على الآمن القومي الليبي (2011- 2017)، ص31.
19- القاضي، أبوالقاسم محمد مصباح ، بحث – دراسة في الجغرافيا السياسية، مجلة الأكاديمية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، 2023م، ص139.
20- دانيلز، تشارلز، تعريب أحمد اليازوري، الجرمنتيون سكان جنوب ليبيا القدماء، ص19، ص30 ، ص42، دار الفرجاني، طرابلس - ليبيا.
21- الجزيرة نت، الطوارق أو الرجال الزرق، نسخة محفوظة 26 أبريل 2018، على موقع واي باك مشين.
22- الجزيرة نت، الطوارق شعوب أمازيغية تسكن الصحراء الكبرى بأفريقيا، نسخة محفوظة، 13 أغسطس 2023م، الموسوعة موروتانيا، على موقع واي باك.
23- الجزيرة نت، قبائل التبو ، نسخة محفوظة 12 مايو 2016، على موقع واي باك مشين.
24- نون بوست، أمراء الصحراء .. ماذا تعرف عن قبائل التبو المنسية؟ منصة إعلامية مستقلة، تأسست عام 2013م، تنتمي لمدرسة الصحافة المتأنية، مقال نُشر بواسطة، عائد عميرة، في 9 أغسطس 2018م.
25- بوابة الوسط، دراسة إفريقية : ثلاثة مسارات للهجرة إلى جنوب ليبيا..قبائل التبو تسيطر على أهمها، ترجمة، هبة هشام، تاريخ النشر 8 يوليو 2017م.